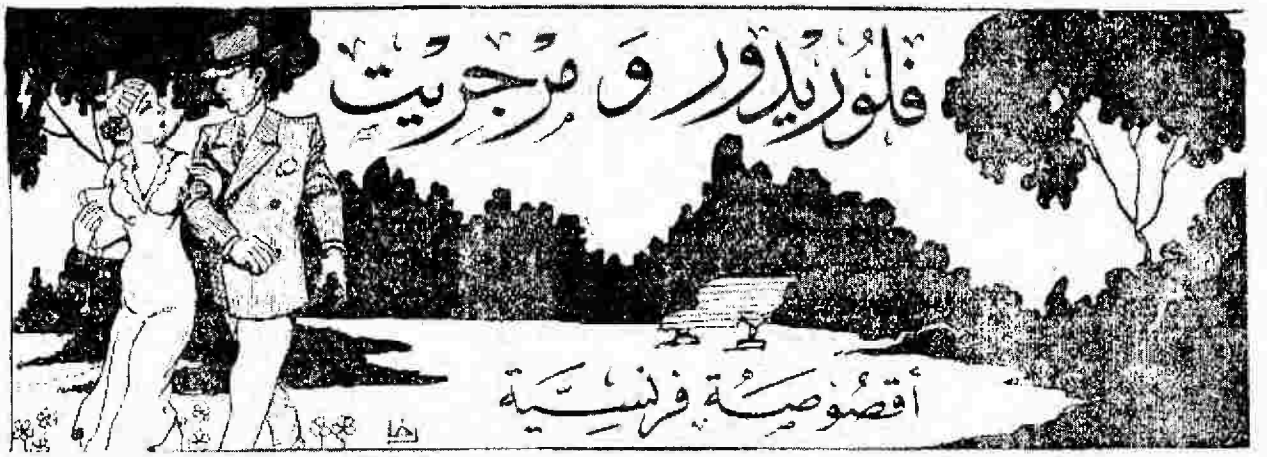

— أحبك حباً ملأ جوانب نفسى وملك على مشاعرى

— لقد وهبتك قلبى عربوناً لحب لا انتهاء له

— أحق ما تقولين ، أم هذا صدى غرامى تردده الأوهام ؟

— يشهد هذا البدر المنير ، وهذا الروض النضير ، ويشهد ميدعهما أننى لا أحب سواك ، ولا أقف حياتى إلا عليك

وسمع من بعد وقع أقدام فذعر العاشقان وتواعدا إلى الغد ؛ وتسلق الشاب جدران الحديقة العالية وتوارى مبتعداً فى الشارع وهو يناجى نفسه قائلاً : من تكون يا ترى هذه الفتاة التى تقف حياتها علىّ ، وما أنا إلا ممثل على المسارح العمومية ؟ إن كل ما يتجلى لى فيها ينم عن محتد رفيع وثقافة عالية . لقد أرادت أن تخفى اسمها عنى فقالت : مادمت فى مدرسة الدير تلميذة أتلقن العلم فما أنا إلا أسيرة لا أملك نفسى ، فاقنع بما أعلنته لك من حبى الآن إلى أن أبرح هذا المكان فأطلعك على الحقيقة وأسلمك يدى أمام الله والناس

وكان الفتى فلوريدور يستعيد ذكرى اليوم الذى رأى فيه لأول مرة هذه الفاتنة تطل من نافذة الدير وترسل إليه نظرة أوقدت جذوة الغرام فى قلبه . وتابع السير حتى وصل إلى غرفته الحقيرة حيث تطرح على سريره آملاً زيارة طيف الحبيبة فى منامه

وعاد الفتى فى المساء التالى الى مكان الملتقى ، وبات ينتظر موافاة الحبيبة فأخفقت آماله ؛ وعاود الكرة مراراً فما رأى فى جنة غرامه غير أزهارها ، وما نشق غير عبيرها . ومرت الليالى فتيقن العاشق أن سره قد افتضح ، وتأكد أن الحبيبة قد غادرت الدير وعبثا فتش عنها فما عثر لها على أثر

— ٢ —

ومرت على العاشق أيام ساعاتها أعوام ، وهو يشغل نفسه بالتمثيل على المسارح وفى قلبه غصص من تذكارات الفتاة المجهولة

وفى ذات ليلة كان فلوريدور يقوم بتمثيل دور مؤثر فخانت منه التفاتة الى مقاعد الطبقة العالية ، فرأى حبيبته شاخصة اليه وقد ارتسم الحزن العميق على ملامحها وتساقطت من عينيها الدموع . وقف الممثل مشدوهاً الى أن نبهه صوت الملقن الذى حسب أنه نسى دوره ، فعاد الى التمثيل بلهجة ملأها الحب روعة وهو يتبع على ملامح من يهوى تأثير إلقائه وإيمائه . وما انتهى من التمثيل حتى هرع الى غرفته مغيرا أثوابه واندفع الى مدخل المسرح لعله يرى خالبة لبه . فلم يوفق الى لقائها ؛ وتكررت هذه الحادثة والممثل يحاول عبثا مقابلة

الفتاة عند نهاية عمله ، الى أن دخل عليه يوما وهو فى لجج من الأحزان شيخ مهيب تدل أثوابه على أنه من علية القوم ، فاستقبله الممثل مستغربا هذه الزيارة ، ولكن الشيخ مد يده مصافحاً وقال : عفواً أيها السيد ؛ إننى آتيتك ولا معرفة بيننا ، ولكنَّ من الأمور ما يجيز تجاوز المألوف ؛ ولدى مسألة هامة يتوقف عليها شرفى وسعادتى . أنا نبيل وأنت من كرام الناس فسوف أتناول الموضوع بلا توطئة

— تكلم يا سيدى ، فأنا مصغ

— هب أنك أمير ولك ابنة جميلة فى ريعان الصبا وهى وارثة اسمك الوحيدة ، وقد وجدت لها عريساً من أعاظم الدولة تحسده الملوك على أمجاده فلم تقبل ابنتك ما أعددته لها من سعادة فماذا تفعل ؟

— أترك لها الحرية ، وأجتهد أن أكتشف سر قلبها ، إذ لعلها وهبت قلبها لمن أمتلكها حبه فلا تستطيع مقاومة قضاء الله فيها

— وإذا عرفت أنها عاشقة ؟

— أطاوعها فى إرادتها وأساعدها على الاقتران بمن تهوى ، فليس بغير الحب من سعادة على الأرض

— وإذا كان ما تشير به يفوت الامكان ؟

— ولماذا ؟

— لأن الفتاة التى أتكلم عنها هى وحيدة الدوق بارسلان أحد نبلاء القصر ، وهذا الدوق واقف أمامك الآن ، ولأن الذى تهواه ابنتى رجل شريف ولا ريب ، ولكنه ممثل ...

— فهمت يا مولاى . إن فى تنازل ابنة الدوق بارسلان إلى عشق من هو دونها نسباً لعاراً تأباه الطبقة الميزة بالألقاب ، ولكن ما تعنى بهذا الكلام ؟

— إذا كان الأمر لم يتضح لديك ، فهأنذا أصرح . إن الممثل الذى امتلك فؤاد وحيدتى هو أنت ، أيها السيد فلوريدور

وصعق الممثل وهتف قائلاً — أنا ؟.

— عفواً ، إن فى هذا التصريح ما يمس عزة نفسك ، ولكننى ألجأ إليك فلا تخيب أملى ، فانك على ما أرى لا تعرف ابنتى وما اجتمعت بها ؛ فاذا ما تقدمت إليك بطلب ظاهره مستغرب يؤدى إلى إلزامك بتضحية فان يصعب الأمر عليك ، وعليه يتوقف الابقاء على شرف اسمى وحياة وحيدتى وهى تعلن أنها لا تريد أن تقترن بغيرك

— وما هى هذه التضحية ؟

— إنك قادر على اقتلاع جراثيم حبك من قلبها

— وبأية طريقة أقتلع ما تسميه جراثيم حبى ؟

— أصغ الى . . . إن وحيدتى لم ترك إلا عن بعد وأنت على المسرح مرتد أثواب الأبطال تنشد أجمل الأشعار ، فمن السهل عليك أن تبدد أوهامها إذا أنت رضيت بالظهور إليها فى مظهر الرجل العادى ، بل الرجل المتهتك السكير البعيد عن كل تهذيب وثقافة ، فتتأكد عندئذ انها عشقت ثوباً ، وأعجبت بما ليس منك بل من أقوال الشعراء . إن ما أكلفك به هو الظهور بهذا المظهر فتحتقرك وتشفى من دائها العقام ؛ وهل من قاتل للحب غير الاحتقار ؟

استغرق فلوريدور فى التفكير . لو كان ما يعتقده الدوق صحيحاً من أنه لم يجتمع بالفتاة وما عرفها ، لكان هنالك واجب يسهل القيام به ، ولكن أنى للقلب الذى ضم المحبوب إليه أن يستسهل انسلاخه عنه . ولاحت الفتاة الشريفة الرفيعة المحتد لخيال الممثل واقفة من حبه على شفا جرف تكاد تنزلق عليه هازئة بقلب أبيها واعتقادات من تنتمى اليهم . وطال تفكيره وهو يقابل بين ضحيتها

والتضحية التي يعرضها أبوها عليه ، فاذا بصوت الشيخ الوقور يرتفع قائلاً : لا تتردد ، أيها السيد الكريم ! ان ما يوجه إليك الآن انما هو رجاء والد حصر فى وحيدته كل ما فى الحياة من سعادة ومجد وآمال ؛ فما أنا إلا شيخ هاو ضعيف ، بل أنا أحد أشراف وطنك أضرع إليك أن تحفظ اسم سلالتى من العار ، فلا تدعنى أذهب بواجبي إلى القسوة على ابنتى التى لم يترك لى الدهر سواها

وأدى كلام الشيخ قلب الفتى ، فوعد بالقيام بما يطلب منه لاستئصال حبه من قلب الفتاة الوحيدة التى ملكت لبه وملأت جوانب نفسه

— ٣ —

وفى اليوم التالى عند الظهر أعلن خادم القصر لسيده الدوق قدوم الممثل فلوريدور . فقال الدوق أدخله إلى البهو الكبير ، وها أنذا آت إليه

دخل فلوريدور البهو وجاء الدوق يصافحه ؛ ثم ظهرت الفادة ، فقال الدوق :

أقدم إليك ، يا ابنتى ، الممثل فلوريدور . الذى أعجبت بتمثيله ؛ وهو من كبار أهل الفن ، ولذلك دعوته إلى مائدتنا ولعلك تسرين بذلك

وطأطأ فلوريدور رأسه مفكراً بأية فظاظة يجب عليه أن يبتدئ بتمثيل دوره الذى عاهد الدوق على القيام به ؛ ولكنه ما رفع بصره وشهد خالبة لبه حتى علا وجهه الاصفرار ؛ وإذ مدت يدها لتصافحه وهى ترتجف من الشوق خيل اليه أنه يلصق شفتيه بشفتيها ، ويغرق نور عينيه بأنوار عينيها . والتفت الى ما حوله فارتعش أمام مظاهر الأبهة والبذخ فى هذه القاعة تقف بينها فتاة حديقة الدير التى أقسمت له بالله ألا تحول عن حبه ولا ترضى بغيره رفيقاً لحياتها ، فرأى هاوية سحيقة تنفتح تحت رجليه ولاحت له الحبيبة فى معتصم من جبل لا قبل له ببلوغه ، وتذكر وعده للأب الشيخ المتوسل الضعيف . فتمالك عواطفه وفيها ثورة وسعير

وجلس فلوريدور الى المائدة بين الدوق وحبيبته ؛ فلما قدم الخدم أول لون من الطعام كان قد ملأ كأسه وأفرغها فى جوفه دفعة واحدة ، ثم ألحقها بكأس وكأس ؛ ثم أخذ يمثل دوره متكلما بلهجة عوام الناس منتخباً ألفاظه السمجة ؛ وما مرت نصف ساعة حتى كان فلوريدور يحملق بعينيه ويقسم ويلعن متدحرجاً تحت المائدة وقد سحب غطاءها معه فتدحرجت الأوانى تتحطم بفرقعة أخفت الزفرات التى كانت تندفع من فم شهيد المروءة بالرغم عنه

ونهضت ابنة الدوق باشارة من أبيها وقد علا وجهها اصفرار الموت ، فتقدم الدوق الى الفتى قائلا : — إن مروءتك تفوق إبداعك فى التمثيل . لقد جبرت فؤادى الكسير ، دعنى أسد إليك الشكر الذى تستحق . ولكن ماذا أرى ... ماهذه الدموع المتدفقة من عينيك أيها السيد ؟...

ووجم الدوق إذ لم يجبه فلوريدور بكلمة ، بل اندفع الى خارج القاعة كأنه فقد رشده مرسلا ما كبته من زفرات وعويل

— ٤ —

ومر فلوريدور بعد أيام قرب دير راهبات الكرمل ، فرأى جمعاً محتشداً فى الأسواق المجاورة وسمع رنين الأجراس مؤذنة باحتفال كبير ، وإذا بمربة مذهبة موسومة بشارات الشرف ووراءها عدد من المربات الأخرى ، وكلها فاخرة تجرها الجياد المطهمة . فسأل أحد المتفرجين عن هذا الاحتفال فقال له : هذه عربة الدوق بارسلان تحمله وامرأته لحضور حفلة ابنتهما ...